الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد

الإنسان العربي الجديد

رسالة إنسانيـة

تقرأ المقدمة في الحلقة الرابعة.....

الشيخ: غرور يا بني.. إنه الغرور الذي تمتنع معه الهداية وتنغلق به أبواب التقدم والنجاح.

خالد: وكيف يكون غروراً هذا الذي يقولونه وقد نقلوه عن حضارة متقدمة تحققت بها أعظم المنجزات والإختراعات؟

الشيخ: اسمع يا بني.. أنا لا أحدثك عن الطائرة والمدفع والصاروخ والقنبلة النووية.. بل أحدثك عن الإنسان. الإنسان وحسب.

خالد: ولنفرض أنك تحدّثني عن الإنسان. أفلم تحقّق حضارة الغرباء من الإنتصارات في حقل العلوم الإنسانية ما يكفي لهداية هذا الإنسان وتحقيق أغراضه وتنظيم شؤون معاشه؟!.

الشيخ: أما هذا فلا..

خالد: أمرك عجيب يا جدي.. تقول إن هذه الحضارة لم تستطع أن تعرف الإنسان وأن تكتشف حقيقته وتتوصل إلى توفير السعادة له؟

الشيخ: وهل شقاؤنا نحن المسلمين يا بني إلا من هذه الإنسانية الضائعة الضالة التي أتتنا بها حضارة الغرباء؟

خالد: وكيف ذلك يا جدي؟ لقد نجحت هذه الحضارة في مكافحة الأمراض ورفع مستوى العيش ووضع ثروات الطبيعة تحت تصرف الإنسان.

الشيخ: هذا صحيح ولكنها مع ذلك لم تستطع أن تحمل السلام إلى هذا الإنسان. ولم تحقق له سعادته. إنه ما يزال حتى اليوم خاضعاً لقيادات طامعة ومخططات عدوانية. بالإضافة إلى أنها قد أفسدت القلوب وأشاعت الحذر والخوف وضيعت الثقة بين الدول والشعوب.

خالد: وأين هو الهدى يا جدي؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

الشيخ: يا بني إن الهدى هو الذي ينبع من النفس. إنه الوضع الروحي الذي يوطد أحسن العلاقات بين الناس. إنه الذي يحطم العدوان ويرتفع بالإنسان إلى مستويات عالية ويحرره من الخوف والبخل والطمع فيما في أيدي الآخرين. ويشيع في قلبه المحبة والرضى والإحسان.

خالد: وكيف الطريق إليه يا جدي؟

الشيخ: إنه بالتحرر من كل وصاية إلا وصاية الله عز وجل. إنه بالإيمان الخالص بإله خالق قادر له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما لا يشركه فيه أحداً أبداً.

خالد: وكيف السبيل إلى إقناع الملايين بهذه الحقيقة؟

الشيخ: السبيل يا بني هو في الإستشهاد بما يقوله العلماء أنفسهم الذين شاركوا في صنع حضارة الغرباء.

خالد: وماذا يقول هؤلاء العلماء؟

الشيخ: إنهم يقولون بأن العجز عن فهم الحياة الإنسانية هو السمة الكبرى التي تتميز بها حضارتهم.

خالد: ومن هو صاحب هذا القول؟

الشيخ: كثيرون يا بني. ولعلك لو عدت إلي عدت إلى كتاب " الإنسان ذلك المجهول " الذي وضعه أحد العلماء الأميركيين من أصل فرنسي لأدركت هذه الحقيقة.

خالد: وما اسم هذا العالم؟

الشيخ: أليكسي كاريل.

خالد: وماذا يقول هذا العالم؟

الشيخ: إنه يعلن عجز العلم المادي الحديث عن الحيلولة دون تدهور الإنسان وانحطاطه في المدنية العصرية.

خالد: ولكن هذا أمر خطير!

الشيخ: هناك أكثر من ذلك. يقول أليكسي كاريل "واقع الأمر أن جهلنا بالإنسان هو جهل مطبق. وأن أغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب. لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة".

خالد: ومع ذلك فإن أحداً لا يقرّه على هذا الرأي من أولئك الذين يرددون أفكار هذه الحضارة الغربية ونظمها وتشريعاتها.

الشيخ: ألم أقل لك إنه الغرور يا بني؟! وهناك غير أليكسي كاريل. إن الفيلسوف الفرنسي برجسون يقول أيضاً إن العقل يتصف بعجز طبيعي عن فهم الحياة.

خالد: قل لي يا جدي.. من أين تأتينا الهداية؟

الشيخ: بالعودة إلى المنهج الذي رسمه الله لحياة الإنسان.

خالد: وهل فشلنا نحن لأننا تجاهلنا هذا المنهج ولم نعمل به؟

الشيخ: هو ذاك يا خالد. لقد استطاع العلم الحديث أن يجوس خلال الكون وأن يغوص إلى أعماق البحار وأن يتعرف إلى كثير من أسرار المادة ولكنه مع ذلك تحول إلى أداة تخريبية هدامة انفجرت بها حروب عالمية مدمرة واضطهدت بها شعوب واعتدى بها على العزل والأبرياء. أو ليس النازحون الذين يملأون السهول والجبال في بلادنا العربية هم ضحايا هذه الحضارة التي جاءتنا بالحديد والنار وحملت معها خطط الابادة والتدمير؟ من الذي فرض علينا الصهاينة؟ من هم الذين يحمون دولة العصابات؟ من الذين يغذونها بجرأة ووقاحة وصلف؟ أليسوا أنفسهم الذين ينقضون على الضعفاء في كل مكان من العالم ويخنقون أصوات الحرية في قلوب الملايين؟

خالد: وماذا يقول المنهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى للإنسان في هذه الحياة؟

الشيخ: يقول هذا المنهج يا خالد. بصدد معرفة الناس بحقيقتهم وأسباب خلاصهم الروحي: " ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ".

ولذلك فقد عقب على إعلان هذه الحقيقة بقوله في قرآننا الكريم: " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ".

خالد: وماذا يقول المنهج الإلهي أيضاً؟

الشيخ: إنه يقول: بأن الإنسان هو أعظم مخلوقات الله. وأن تكريمه احترام إنسانيته وضمان حريته وتوفير أسباب المعرفة له شروط أساسية لسعادة المجتمع الإنساني.

خالد: ولكن هذا الكلام نسمعه من الناس الذين يأتوننا من أرض هذه الحضارة الغربية!

الشيخ: ولكنهم يكذبون.. إنهم يرددون ما لا يعتقدونه. ينادون بحرية الإنسان ثم يضطهدونه.. ويعلنون احترامهم لعقيدته ثم يعملون على تشويهها والإساءة إليها.. ويتحدثون عن السلام لكل البشر ثم يضعون السلاح الذي يبيدون به الشيوخ والنساء والأطفال. ويقولون بالحفاظ على القانون. ثم يكونون أول من يخرق هذا القانون وينتهك حرمته.

خالد: وما هو السبب في ذلك يا جدي؟

الشيخ: السبب هو أنهم قد جعلوا الإنسان حيواناً أو شيئاً من أشياء المادة وحسب. كل شيء في نظرهم خاضع لقواعدهم المادية.. أما العبارات التي يرددونها التي تؤذن بامتياز الإنسان في نظرهم فليست غير واجهة خارجية يقصد بها التمويه والتضليل يا خالد.

خالد: وبماذا تنصحني يا جدي وتنصح إخواني الذين تبلبلت عقولهم وتشابكت أفكارهم فلم يعودوا يعرفون الطريق؟!

الشيخ: يا بني لو عدتم إلى أنفسكم وتساءلتم عن السر في الهزائم التي مُنيتم بها أمام المعتدين رغم أنكم على حق في دفاعكم عن حرياتكم وترابكم الوطني لوجدتم أن السبب في ذلك هو انخلاعكم عن العقيدة التي حققت الانتصار لأجدادكم. إن الأمم العظيمة يا خالد هي تلك التي تبني أمجادها فوق ترابها وبسواعد أبنائها وبإيمانها الثابت الذي لا تعصف به العواصف.

خالد: وهل يكفي هذا لاسترداد النصر والحفاظ على الحرية؟

الشيخ: يا خالد إن أحق إنسان بأن يحرص على حريته وأن ينجح في الحفاظ عليها وفي رد المعتدين عنها هو ذاك الذي يؤمن إيماناً راسخاً أنه مدين بهذه الحرية لخالقه ولضميره وأن لا فضل فيها عليه لأحد من الناس.

خالد: ولنفترض أنه آمن بهذه الحقيقة فكيف ينتصر؟

الشيخ: في هذه الحالة يا بني لا يعود يخاف شيئاً.. ولا يعود إلى تمزيق صفه.. ولا تتبلبل أفكاره.. ولا يصرفه عن الإستعداد لمواجهة عدوه أي صارف. وفي هذه الحالة أيضاً تزيد مهابته في نفوس أعدائه فلا يفكرون في الغارة عليه لأنهم يعلمون عجزهم عن النفاذ إلى صفوفه في أي مكان. وإذا فعلوا تحت ضغط الكراهية والطمع والخوف فإنهم يلقون ما لا قبل لهم من المقاومة العنيدة والجريئة.

خالد: زدني يا جدي فأنا مشوق إلى معرفة الكثير.

الشيخ: يا بني لقد علّمنا الله سبحانه وتعالى كيف ننظم معاشنا وكيف نستعد لآخرتنا. خلقنا في أحسن تقويم. وسخر لنا ما في السموات والأرض.. ونظّم علاقتنا بعضنا ببعض. وجعل حريتنا وانتصارنا ووحدة صفنا رهينة بطاعته وبالإخلاص في عبادته. لقد خلقنا وخلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا قال في محكم تنزيله: "فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى"..

خالد: وكيف لي بإقناع اخواني يا جدي؟

الشيخ: كل شيء يساعدك على إقناعهم.. المتاعب التي يواجهونها.. النكسات التي سجلوها حتى اليوم. البلبلة التي يقعون فيها.. كلها جديرة بإيقاظهم وفتح قلوبهم على الحقيقة.. كلها تساعدهم على العودة إلى تراثهم العظيم.. أما أنت فعليك أن تؤمن أولا بكل أفكارك وعواطفك وإرادتك وأن تتصرف في ضوء هذا الإيمان. وستجد بعد ذلك أن الإيمان هو كالسفاح الذي يسري منك فيخترقه القلوب المظلمة وينير العقول.

خالد: وماذا نصنع بهذا الذي حمله إلينا الغرباء؟

الشيخ: إذا كان ما تقصده هو منجزات العلم المادي فإن عليك أن تتعمه وتأخذ به. أما إذا كان ما تقصده هو الخلق والعقيدة ونظام العيش فإياك أن تتعلمه وتأخذ به. إن عندنا من ثروة المعرفة ومن نور الهداية ما يكفي لتحريرنا وتحرير شعوب الدنيا كلها.. يكفي أن تعتقد يا بني أن أمتنا إذا اجتمعت لا تجتمع على ضلالة. وأنها مرجع كل الحقوق. وأنها حين تريد تكون إرادة الله حيث تريد..

خالد: ادع الله لي يا جدي أن يوفقني في القيام بهذه المهمة.

الشيخ: يا خالد إن الله يسمعك حيث تكون. وهو معك حين تكون معه. وإِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ.. صدق الله العظيم.